استهزاء بالمهاجمين . وكان سلوكهم هـذا يشبه سـلوك إغريق عصر الانحطاط الذين كانوا يفعلون مثل ذلك من اعلـى أسوارهم استهزاء بالرومـان .

ويمكننا اليوم أن نتساءل لمَ لمْ يخرج المدافعون عن قازان لتدمير المنشآت الاولى من سفيازهسك التي كان تهديدها لهم يتزايد يوما بعد يوم امام اعينهم . مهما يكن من أمر فإنه في الثامن عشر من ايار مايو ١٥٥١ قبل الفجر خرج الروس من سفيازهسك فهاجموا قازان بغتة واخترقوا تحصيناتها الخارجية وقتلوا الفا من التتر وهم نيام وهلك العديد من امراء التتر ووجهاء المدينة في هذا الهجوم وعاد الروس الى قاعدتهم سفيازهسك بدون اية خسائر . وكان لا بد لكارثة كهذه أن تقنع شعب قازان بانه لن يصمد طويلا امام الروس .

ولم تكن الأميرة الشابة صوغونبيكا مع ابنها الصغـير سوى حاكمة بالاسم على قازان . ولكن الأميرة كانت قد اتخذت لنفسها عشيقا احد امراء التتر من القرم واسمه كوشاك كان يبدو انه قادر على اغتيال الطفل ليضفي على نفسه بعد ذلك لقب امير قازان . وكان مكروها في المدينة لدرجة ان مؤامرة دبرت عليه من اجـل وضعه في الاغلال هو وانصاره الرئيسيين وتسليمهم كلهم للروس . ولكن كوشاك لاذ بالفرار اثناء الليل مع خمسة واربعين من اصدقائه دون أن يتمكن من الإفلات من الروس الذين القوا القبض عليه وارسلوه الى موسكو مكبلا بالاغلال . ويقال إن إيڤان عرض عليه أن يحفظ عليه حياته إذا تعمد واعتنق المسيحية ولكنه رفض فقتل هو وجميع الأسرى الذين كانوا معه .

وجرت محادثات لعقد الصلح وطلب القيصر استسلام صوغونبيكا وولدها . ومن أجل أن يحفظ سكان قازان سلامتهم أرسلوا الأميرة في زورق . وتروي القصة أن قازان كلها كانت تسكب الدموع على منظر الأميرة الجميلة الضعيفة صوغونبيكا التي أجبروا على تسليمها وان الأميرة ركعت أمام قبر زوجها صفا متمنية لنفسها ما كان يتمتع به من سلام ،